مختارات

من

الشعر المملوكي

قال صفي الدين الحلي في قصيدة :

قالت

قالت:كحلت الجفون بالوسن قلت:ارتقابا لطيفك الحسن

قالت:تسليت بعد فرقتنا قلت:عن مسكنى وعن سكنى

قالت:تشاغلت عن محبتنا قلت :لها بفرط البكاء والحزن

قالت:تناسيت قلت:عافيتى قالت:تناعيت قلت:عن وطنى

قالت:تخليت قلت:عن جلدى قالت:تغيرت قلت:فى بدنى

قالت:تخصصت دون صحبتنا فقلت:بالغبن فيك والغبن

قالت:أذعت الأسرار قلت:لها صير سرى هواك كالعلن

قالت:سررت الأعداء قلت:لها ذلك شئ لو شئت لم يكن

قالت: فماذا تروم ؟ قلت : لها ساعة سعد بالوصل تسعدنى

قالت:فعين للرقيب تنظرنا قلت:فإني للعين لم أبن

قال الإمام شرف الدين البوصيري في قصيدة :

البردة

أمن تـذكر جيـران بـذي سـلمٍ

مزجت دمعا جرى من مقلة بـدم؟

***

أم هبّت الريح من تلقـاء كاظمـة

وأومض البرق في الظلماء من إضم؟

***

فما لعينيك إن قلـت أكففـا همتـا

وما لقلبك إن قلـت أسـتفق يهـمِ

***

أيحسب الصبّ أن الحـب منكـتم

ما بين منسـجم منـه ومضـطرم

***

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل

ولا أرقـت لـذكر البـان والعلـم

فكيف تنكر حبّـا بعـدما شـهدت

به عليك عـدول الـدّمع والسّـقم

***

وأثبت الوجد خطيّ عبرة وضـنى

مثل البهار علـى خـدّيك والعـنم

***

نعم سرى طيف من أهوى فـأرّقني

والحبّ يعتـرض اللـذات بـالألم

***

يا لائمي في الهوى العذري معذرة

مني إليك ولو أنصـفت لـم تلـم

***

عنك حـالي لا سـرّي بمسـتتر

عن الوشـاة ولا دائـي بمنحسـم

***

محضتني النّصح لكن لست أسـمعه

إن المحبّ عن العذّال فـي صـمم

***

إني اتهمت نصيح الشيب في عذلي

والشيب أبعد في نصح عن الـتهم

***

فإن أمّارتي بالسـوء مـا اتعظـت

من جهلها بنذير الشّـيب والهـرم

***

ولا أعدّت من الفعل الجميل قـرى

ضيف ألمّ برأسي غيـر محتشـم

***

لو كنت أعلـم أنّـي مـا أوقـره

كتمت سرّا بدا لـي منـه بـالكتم

***

من لي بردّ جمـــاح مـــن غوايتهـــا

كما يـــردّ جمـــاح الخيـــل بـــاللجم

***

فلا ترم بالمعاصي كســـر شـــهوتها

إن الطعام يقـــوّي شـــهوة الـــنهم

***

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على

حبّ الرّضاع وإن تفطمـــه يـــنفطم

***

فاصرف هواها وحـــاذر أن تولّيـــه

إن الهوى ما تولّى يصم أو يصـــم

***

وراعها وهي في الأعمال ســـائمة

وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

***

كـــم حســـنت لـــذة للمـــرء قاتلـــة

من حيث لم يدر أن السّم في الدّسم

***

واخش الدّسائس من جوع ومن شبع

فرب مخمصة شـــرّ مـــن الـــتّخم

***

واستفرغ الدّمع من عين قد امتلأت

من المحارم والـــزم حميـــة النـــدم

***

وخالف النّفس والشّيطان واعصهما

وإن هما محّضاك النّصـــح فـــأتهم

***

ولا تطع منهما خصما ولا حكمـــا

فأنت تعرف كيد الخصـــم والحكـــم

***

ظلمت سنّة من أحيا الظـــلام إلـــى

أن اشتكت قدماه الضـــرّ مـــن ورم

***

وشدّ من ســـغب أحشـــاءه وطـــوى

تحت الحجارة كشحا متـــرف الأدم

***

وراودته الجبال الشـــمّ مـــن ذهـــب

عـــن نفســـه فأراهـــا أيّمـــا شـــمم

***

وأكـــدت زهـــده فيهـــا ضـــرورته

إنّ الضرورة لا تعدو على العصم

***

محمـــد ســـيّد الكـــونين والثقلـــين

والفريقين من عرب ومـــن عجـــم

***

نبيّنـــا الآمـــر النّـــاهي فـــلا أحـــد

أبرّ فـــي قـــول لا منـــه ولا نعـــم

***

هو الحبيب الذي ترجـــى شـــفاعته

لكلّ هول مـــن الأهـــوال مقـــتحم

***

دعا إلـــى الله فالمستمســـكون بـــه

مستمسكون بحبل غيـــر منفصـــم

***

فاق النّبيين في خلْـــق وفـــي خُلـــق

ولم يـــدانوه فـــي علـــم ولا كـــرم

***

وكلّهم مـــن رســـول الله ملـــتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الـــدّيم

***

وواقفـــون لديـــه عنـــد حـــدّهتم

من نقطة العلم أو من شكلة الحكـــم

***

فهو الـــذي تـــمّ معنـــاه وصـــورته

ثم اصطفاه حبيبـــا بـــارئ النّســـم

***

منزّه عـــن شـــريك فـــي محاســـنه

فجوهر الحسن فيه غيـــر منقســـم

***

دع ما أدّعته النصارى فـــي نبـــيهم

ولحكم بما شئت مدحا فيه واحـــتكم

***

ولنسب إلى ذاته ما شئت من شرف

ولنسب إلى قدره ما شئت من عظم

***

فإنّ فضل رسـول الله لـيس لـه

حـدّ فيعـرب عنـه نـاطق بفـم

***

لو ناسـبت قـدرة آياتـه عظمـا

أحيا اسمه حين يدعى دارس الرّمم

***

لم يمتحنّا بمـا تعيـا العقـول بـه

حرصا علينا فلم نرتب ولـم نـد

***

أعيا الورى فهم معناه فليس يـرى

في القرب والبعد فيه غير منفحم

***

كالشمس تظهر للعينين مـن بعـد

صغيرة وتكلّ الطّرف مـن أمـد

***

وكيف يدرك فـــي الـــدنيا حقيقتـــه

قـــوم نيـــام تســـلّوا عنـــه بـــالحلم

***

فمبلـــغ العلـــم فيـــه أنّـــه بشـــر

وأنّـــه خيـــر خلـــق الله كلّهـــم

***

وكلّ آي أتى الرّسل الكـــرام بهـــا

فإنما اتصـــلت مـــن نـــوره بهـــم

***

فإنه شمس فضـــل هـــم كواكبهـــا

يظهران أنوارها للناس في الظّلـــم

***

أكـــرم بخلـــق نبـــيّ زانـــه خلـــق

بالحسن مشـــتمل بالبشـــر متّســـم

***

كالزّهر في ترف والبدر في شرف

والبحر في كرم والدّهر في همم

***

كأنّه وهو فرد من جلالته

في عسكر حين تلقاه وفي حشم

***

كأنّما اللؤلؤ المكنون في صدف

من معدني منطق منه ومبتسم

***

لا طيب يعدل تربا ضمّ أعظمه

طوبى لمنتشق منه وملتثم

***

أبان مولده عن طيب عنصره

يا طيب مبتدأ منه ومختتم

***

يزد تسرّس فيه الفرس أنهم

قد أنذروا بحلول البؤس والنّقم

***

وبات إيوان كسرى وهو منصدع

كشمل أصحاب كسرى غير منتـ

***

والنّار خامدة الأنفاس من أسف

عليه والنّهر ساهي العين من سدم

***

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها

وردّ واردها بالغيظ حين ظمي

***

كأن بالنار ما بالماء من بلل

حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

***

والجنّ تهتف والأنوار ساطعة

والحق يظهر من معنى ومن كلم

***

عموا وصمّوا فاعلان البشائر لم

تسمع وبارقة الإنذار لم تشم

***

من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم

بأن دينهم المعوجّ لم يقم

***

وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب

منقضّة وفق ما في الأرض من صنم

***

حتى غدا عن طريق الوحي منهزم

من الشياطين يقفو إثر منهزم

***

كـــأنّهم هربـــا أبطـــال أبرهـــة

أو عسكر بالحصى من راحتيه رمـــي

***

نبـــذا بـــه بعـــد تســـبيح ببطنهمـــا

نبذ المســـبّح مـــن أحشـــاء ملـــتقم

***

جاءت لدعوتـــه الأشـــجار ســـاجدة

تمشي إليه على ســـاق بـــلا قـــدم

***

كأنّما سطرت ســـطرا لمـــا كتبـــت

فروعها من بديع الخطّ فـــي اللّقـــم

***

مثل غمامـــة أنـــى ســـار ســـائرة

تقيه حرّ وطـــيس للهجيـــر حمـــي

***

وما حوى الغار من خير ومن كرم

وكل طرف من الكفّار عنه عمـــي

***

فالصدق في الغار والصّديق لم يرما

وهم يقولون ما بالغــار مــن أرم

***

ظنّوا الحمامة وظنوا العنكبوت على

خير البريّة لم تنســج ولــم تحــم

***

وقاية الله أغنــت عــن مضــاعفة

من الدّروع وعن عال من الأطــم

***

ما سامني الدّهر ضيما واستجرت بــه

إلا ونلت جوارا منــه لــم يضــم

***

ولا التمست عنى الذارين من يـــده

إلا استلمت النّدى من خير مســـتلم

***

لا تنكر الوحي من رؤيـــاه أن لـــه

قلبا إذا نامـــت العينـــان لـــم يـــنم

***

وذاك حـــين بلـــوغ مـــن نبوّتـــه

فليس ينكـــر فيـــه حـــال محـــتلم

***

تبـــارك الله مـــا وحـــي بمكتســـب

ولا نبـــيّ علـــى غيـــب بمـــتهم

***

كم أبرأت وصبا بـــاللمس راحتـــه

وأطلقت أربـــا مـــن ربقـــة اللّمـــم

***

وأحيت السّنة الشهباء دعوته

حتى حكت غرّة في الأعصر الدّهم

***

بعارض جاد أو خلت البطاح بها

سيب من اليمّ أو سيل من العرم

***

دعني ووصفي آيات له ظهرت

ظهور نار القرى ليلا على علم

***

فالدّر يزداد حسنا وهو منتظم

وليس ينقص قدرا غير منتظم

***

فما تطاول آمال المديح إلى

ما فيه من كرم الأخلاق والشّيم

***

آيات حقّ مَـن الـرّحمن محدثـة

قديمة صـفة الموصـوف بالقـدم

***

لم تقترن بزمـان وهـي تخبرنـا

عن المعاد وعن عـاد وعـن إرم

***

دامت لدينا تفاقـت كـلّ معجـزة

من النبيين إذ جـاءت ولـم تـدم

***

محكمات فمـا تبقـين مـن شـبه

لذي شقاق وما تبغين مـن حكـم

***

ما حوربت قط إلا عاد من حـرب

أعدى الأعادي إليها ملقـي السّـلم

***

ردّت بلاغتهـــا دعـــوى معرضـــها

ردّ الغيور يد الجّاني عـــن الحـــرم

***

لها معان كموج البحـــر فـــي مـــدد

وفوق جوهره في الحســـن والقـــيم

***

فمـــا تعـــدّ ولا تحصـــى عجائبهـــا

ولا تسام علـــى الإكثـــار بالســـأم

***

قرّت لها عين قاريهـــا فقلـــت لـــه

لقد ظفـــرت بحبـــل الله فاعتصـــم

***

كأنها الحوض تبيضّ الوجـــوه بـــه

من العصاة وقد جـــاؤوا كـــالحمم

***

وكالصـــراط وكـــالميزان معدلـــة

فالقسط من غيرها في الناس لم يقم

***

لا تعجـــبن لحســـود راح ينكرهـــا

تجاهلا وهو عين الحـــاذق الفهـــم

***

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمـــد

وينكر الفم طعم الماء مـــن ســـقم

***

يا خير من يمّـــم العـــافون ســـاحته

سعيا وفوق متون الأينـــق الرّسـم

***

ومن هو الآيـــة الكبـــرى لمعتبـــر

ومن هو النّعمة العظمـــى لمغتـــنم

***

سريت من حرم لـيلا إلـى حـرم

كما سرى البدر في داج من الظّلـم

***

وبتّ ترقى إلـى أن نلـت منزلـة

من قاب قوسين لم تدرك ولم تـرم

***

وقـدّمتك جميـع الأنبيـاء بهـا

والرّسل تقديم مخدوم علـى خـدم

***

وأنت تخترق السّبع الطبـاق بهـم

في موكب كنت فيه صاحب العلـم

***

حتى إذا لم تـدع شـأوا لمسـتبق

مـن الـدّنو ولا مرقـى لمسـتنم

***

خفضت كـل مقـام بالإضـافة إذ

نوديت بالرفع مثل المفـرد العلـم

***

كيمـا تفـوز بوصـل أيّ مسـتتر

عـن العيـون وسـرّ أيّ مكتـتم

***

فحزت كلّ فخـار غيـر مشـترك

وجزت كلّ مقـام غيـر مـزدحم

***

وجلّ مقدار ما وليـت مـن رتـب

وعزّ إدراك ما أوليـت مـن نعـم

***

بشرى لنا معشر الإسـلام إن لنـا

من العنايـة ركنـا غيـر منهـدم

***

لمّـــا دعـــى الله داعينـــا لطاعتـــه

بأكرم الرّسل كنّـــا أكـــرم الأمـــم

***

راعت قلوب العـــدا أنبـــاء بعثتـــه

كنبأة أجفلـــت غفـــلا مـــن الغـــنم

***

ما زال يلقاهم فـــي كـــلّ معتـــرك

حتى حكوا بالقنا لحما على وضـــم

***

ولّوا الفرار فكادوا يغبطـــون بـــه

أشلاء شالت مع العقبـــان والـــرّخم

***

تمضي اللّيالي ولا يـــدرون عـــدّتها

ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم

***

كأنما الدين ضيف حــلّ ســاحتهم

بكلّ قرم إلــى لحــم العــدا قــرم

***

يجرّ بحر خمــيس فــوق ســابحة

يرمي بموج من الأبطــال ملــتطم

***

مــن كــلّ منتــدب لله محتســب

يسطو بمستأصل للكفــر مصــطلم

***

حتى غدت ملّة الإسلام وهي بهــم

من بعد غربتها موصــولة للــرحم

***

مكفولــة أبــدا مــنهم بخيــر أب

وخير بعل فلــم تيــتم ولــم تــئم

***

هم الجبال فسل عـــنهم مصـــادمهم

ماذا لقي منهم في كـــلّ مصـــطدم

***

وسل حنينا وسل بدرا وسل أحـــدا

فصول حتف لهم أدهى من الـــوخم

***

المصدري البيض حمرا بعد ما وردت

من العدا كل مســـود مـــن اللّمـــم

***

والكاتبين بسمر الخطّ مـــا تركـــت

أقلامهم حرف جسم غيـــر مـــنعجم

***

شاكي السّلاح لهم ســـيمى تميّـــزهم

والورد يمتاز بالسيمى عن السّـــلتم

***

تهدي إليك رياح النّصـــر نشـــرهم

فتحسب الزّهر في الأكمام كلّ كمي

***

كأنهم في ظهتور الخيل نبـــت ربـــا

من شدّة الحزم لا من شدّة الحـــزم

***

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقـــا

فما تفـــرّق بـــين الـــبهم والـــبهم

***

ومن تكـــن برســـول الله نصـــرته

إن تلقه الأسد فـــي آجامهـــا تجـــم

***

ولن ترى من ولي غيـــر منتصـــر

به ولا من عـــدّو غيـــر مـــنعجم

***

أحــلّ أمتــه فــي حــرز ملّتــه

كالليث حلّ مع الأشبال فــي أجــم

***

كم جدّلت كلمــات الله مــن جــدل

فيه وكم خصم البرهان من خصــم

***

كفاك بالعلم فــي الأمــيّ معجــزة

في الجاهلية والتأديب فــي اليــتم

***

خدمتــه بمــديح أســتقيل بــه

ذنوب عمر مضى في الشّعر والخــدم

***

إذ قلّــدني مــا تخشــى عواقبــه

كأنني بهمــا هــدي مــن الــنعم

***

أطعت في الصبا في الحالتين ومـــا

حصلت إلا علـــى الأثـــام والنّـــدم

***

فيا خســـارة نفـــس فـــي تجارتهـــا

لم تشتر الدين بالـــدنيا ولـــم تســـم

***

ومـــن يبـــع آجـــلا منـــه بعاجلـــه

بين له الغبن في بيع وفـــي ســـلم

***

إن آت ذنبا فما عهـــدي بمنـــتقص

من النبـــيّ ولا حبلـــي بمنصـــرم

***

فـــإنّ لـــي ذمّـــة منـــه بتســـميتي

محمّدا وهو أوفى الخلـــق بالـــذمم

***

إن لم يكن في معادي آخـذا بيـدي

فضلا وال فقـل يـا زلّـة القـدم

***

حاشاه أن يحرم الرّاجـي مكارمـه

أو يرجع الجّار منه غير محتَـرم

***

ومنـذ ألزمـت أفكـاري مدائحـه

وجدته لخلاصـي خيـر ملتَـزم

***

ولن يفوت الغنى منه يـدا تربـت

إنّ الحيا ينبت الأزهار في الأكـم

***

ولم أرد زهرة الدّنيا التي أقتطفـت

يدا زهير بما أثنـى علـى هـرم

***

يا أكرم الخلق ما لي من ألــوذ بــه

سواك عند حلول الحــادث العمــم

***

ولن يضيق رسول الله جاهك بــي

إذا الكــريم تجلّــى باســم منــتقم

***

يا نفس لا تقنطي من زلّة عظمــت

إن الكبائر فــي الغفــران كــاللّمم

***

لعلّ رحمة ربّــي حــين يقسـمها

تأتي على حسب العصيان في القسم

***

يا ربّ واجعل رجائي غير منعكس

لديك وأجعل حسابي غير منخــرم

***

وألطف بعبدك في الـدّارين إنّ لـه

صبرا متى تدعه الأهـوال ينهـزم

***

وائذن لسحب صلاة منـك دائمـة

علـى النبـيّ بمنهـلّ ومنسـجم

***

ما رنّحت عذبات البان ريح صـبا

وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

***

ثمّ الرّضا عن أبي بكر وعن عمـر

وعن عليّ وعن عثمان ذي الكـرم

***

والآل والصّحب ثم التّـابعين فهـم

أهل التّقى والنّقى والحلم والكـرم

***

يا ربّ بالمصطفى بلّـغ مقاصـدنا

واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

***

بجاه من بيتـه فـي طيبـة حـرم

واسمه قسـم مـن أعظـم القسـم

***

وهذه بردة المختـار قـد ختمـت

فالحمد لله فـي بـدء وفـي خـتم

***

أبياتها قد أتت سـتين مـع مائـة

ففرّج بها كربنا يا واسـع الكـرم

يقول سراج الدين الوراق :

سمعا لما قـــال العـــزول وطاعـــة

قد ديـــن بالإنصـــاف والإنصـــات

الآن أقصـــــر بـــــاطلي وأُقصـــت

داء الهوى وصحوت من نشـــوتي

وقبضت عن راح الندامى راحتـــي

ومسامعي عن ذكر هـــاك وهـــاتي

ولطالمـــا أعطيـــت منـــي حقـــه

ونطقت باسم اللهو مـــلء لهـــاتي

وجـــررت أذيـــال الشـــبيبة رافـــلا

فـــيهن بـــين دســـاكر وشـــقاة

أيام لـــم تقـــض الليـــالي ســـرتي

كـــلا ولا غمـــز الزمـــان قنـــاتي

والزهر قد ضحكت مباسمه وقد

أجرى الغمام سوابق العبرات

والنهر فضيٌ المدارع لم يذب

ذهب الأصيل عليه والغدوات

أين الشباب وأين أين زمانه

ذهبا كأحلام مضت وسبات

ولى الصبا وتخلفت تبعاته

لهفي لو أن جيبي بلا تبعات

يانفس آن لك الرجوع وحان أن

تتيقظي من رقدة الفضلات

من لي إذا اعتقل اللسان وحشرجت

في الصدر وامتلأت شجى لهوات

من لي إذا أسكنت موحشة الثرى

وتركت ربعي مقفر العرصات

من لي إذا زَفرت جهـنم واعتلـت

أنفـاس كـل الخلـق بـالزفرات

فهناك أذخـر لـي شـفاعة أحمـد

ولتلـك خيـر ذخيـرة لعصـاة

وهنـاك ألـتمس النجـاة بحبـه

وبحبـه كـم فـائز بنجـاة